إعداد/ نصر صالح

دعاء

كان رسول الله ﷺ إذا سافر مع أصحابه، ورأى قرية يريد أن يدخلها قال:

«اللهم بارك لنا فيها .. اللهم أرزقنا جَنَاها - أي ثمارها - وحببنا إلى أهلها ، وحبب أهلها إلينا».

وكان يقول : « اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الرياح وما ذرين، إنا نسألك خير هذه القرية ونعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها».

جمال العربية

"جديد أقره المجمع"

يخطئ من يظن أن مجامع اللغة في العالم العربي وفي غيره، تستطيع وحدها النهوض بخدمة اللغة، فلكل لغة حياة أطول وأعرض وأقوى وأرحب مما يدور في نطاق مجمع علمي أو لغوي كما يقول الدكتور إبراهيم بيومي مدكور رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي يحدد حياة كل لغة في أمرين مهمين:

ماض له احترامه وقداسته، وحاضر له حاجاته ومتطلباته. إذا وقفت اللغة عند الماضي وحده كتب عليها الجمود والركود والتخلف، وإذا شغلت بالحاضر فقط فقدت أخص خصائصها من اطراد واستقرار، وأصبحت وليدة الهوى والمصادفة وأدت إلى كثير من البلبلة.

ومن بين ما أقره مجمع اللغة العربية وأجاز استخدامه - في دوراته العلمية الأخيرة - جواز استعمال كلمات مصدرية شاعت على ألسنة الكتاب وأقلامهم على وزن الفعالة - بفتح الفاء وكسرها، وعلى وزن الفعولة- بضم الفاء- وهي كلمات ليست من مسموع اللغة، ولذا فقد أنكرها النقاد والمتشددون من حفظة اللغة.

من بين هذه الكلمات على وزن فعالة بكسر الفاء: القوامة - الهواية - البداية - اللياقة - العمالة - العمادة - النيافة، وعلى وزن فعالة - بفتح الفاء: الزمالة - العراقة - الفداحة - النقاهة - السماكة.

وعلى وزن فعولة - بضم الفاء: السيولة - الليونة - العمولة - الميوعة - الخصوبة - الخطوبة - الخطورة - الحمولة، وكان قرار المجمع على هذه الصورة:

"يجاز ما يستحدث من الكلمات المصدرية على وزن الفعالة - بكسر الفاء - إذا احتملت دلالتها معنى الحرفة. أو شبهها من المصاحبة والملازمة، وكذلك يجاز ما يستحدث من الكلمات المصدرية على وزن الفعالة - بالفتح - والفعولة - بالضم - من كل فعل ثلاثي بتحويله إلى باب فعل - بضم العين - إذا احتمل دلالة الثبوت والاستمرار، أو المدح والذم، أو التعجب، وهو قرار يهدف إلى التيسير وإقرار ما ضخ في ذوق الكتاب واستخدموه ويفتح بابا للمزيد من استحداث مثل هذه الكلمات المصدرية وإشاعتها في لغتنا العربية المعاصرة تلبية لاحتياجات التعبير ومتطلبات الحياة التي لا تتوقف.

كما أقر المجمع في مجلسه ومؤتمره - ما توصلت إليه لجنة الأصول في دراستها لاستعمال كلمة (خاصة) و(خصوصا) في تعبير الكتاب، مستخلصة ما يأتي:

نص بعض اللغويين على أن (خاصة) اسم مصدر أو مصدر جاء على فاعلة كالعافية وأن (خصوصا) مصدر، ولهما في الاستعمال صور منها:

١- أحب الفاكهة وبخاصة العنب، وفي هذا ونحوه يرفع ما بعدها على أنه مبتدأ مؤخر.

٢- أحب الفاكهة وخاصة العنب وفي مثل هذا تنصب (خاصة) على أنها مصدر قام مقام الفعل وما بعدها مفعول به.

٣- أحب الفاكهة خاصة العنب (دون الواو) ونحو هذا تنصب فيه (خاصة) على أنها حال وما بعدها مفعول به.

٤- أحب الفاكهة وخصوصا العنب، وفي هذا ومثله تنصب (خصوصا) على أنها مصدر قائم مقام الفعل، وما بعدها مفعول به.

كما أقر المجمع ما يستعمله بعض الكتاب في مثل قولهم: العضو الرئيسي والشخصيات الرئيسية، وكان كثير من النقاد وحفظة اللغة ينكرون ذلك ويعدونه خطأ في الاستعمال.

والواقع أن الكتاب حين استخدموا هذا التعبير الذي شاع على الألسنة والأقلام في مثل قولهم: هذا عمل رئيسي وتلك وظيفة رئيسية نسبة إلى رئيس، يريدون أن العمل له صدارة وتقدم، وأن الوظيفة لها شأن وخطر، فالعمل أو الوظيفة لهما فوقية واستعلاء بالنسبة يلى غيرهما من الأعمال والوظائف.

وكان المنكرون لهذا التعبير يأخذون على من يستعملونه إقحام تلك الياء قائلين إن التعبير لا يصح إلا بدونها فيقال: عمل رئيس ووظيفة رئيسة، وقد ورد الوصف بكلمة (الرئيسة) دون استخدام ياء النسبة في رسالة لابن شرف القيرواني إذ قال: " ذوو النفوس النفيسة والأخلاق الرئيسة" (في كتابه رسائل البلغاء).

كما ورد في مقدمة معجم الأدباء لياقوت إذ قال: "ربيع النفوس النفيسة ورأس مال العلوم الرئيسة" كما ورد أيضا في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد إذ قال: "والجوع المفرط يضعف الأعضاء الرئيسة".

ويمكن القول بأن الكاتب الذي يتوخى النسبة للتشبيه في قوله:(عمل رئيسي) إنما يتوخى ذلك لدقة حسه اللغوي ورهافة ذوقه البياني، إذ إن لفظ الرئيس أصبح لقبا يوصف به الأشخاص عادة، ويدل في الاستعمال على منصب ووظيفة، وكما يقول الأستاذ محمد شوقي أمين خبير لجنة الأصول وعضو المجمع، إن الكاتب حين يريد استخدامه للمعاني ولغير الأشخاص يعمد إلى النسبة للتشبيه، تفرقة بين الأشخاص ووصف المعاني والأدوات وما إليها.

واستند المجمع في قراره إلى ما قاله ابن السكيت في الإصلاح والتبريزي في تهذيبه: اعلم أن ما جاء على فعلة (بضم الفاء وفتح العين) من النعوت فهو على تأويل فاعل، وما جاء منه على فعلة (ساكن العين) فهو في معنى مفعول.

يقال: هذا رجل ضحكة: كثير الضحك، ولعبة: كثير اللعب، ولعنة: كثير اللعن للناس، وهزأة: يهزأ من الناس، وشخرة: يسخر منهم، وعذلة: كثير العذل للناس، وخذلة: يخذل الناس، وخدعة: يخدع الناس، وهذرة: كثير الكلام، وأكلة شربة: كثير الأكل والشرب.. إلى آخره.

وزاد أبوعبيدة في الغريب المصنف:

ورجل كذبة: كذاب، وخضعة : يخضع لكل أحد، وجلسة وتكأة، ولججة: كثير اللجاج والجدال، ورجل قبضة رفضة: كثير التمسك بالشيء ثم لا يلبث أن يدعه.

وفي ديوان الأدب: يقال: هو نخبة القول: إذا كان النجيب منهم، وهجعة: نئوم، وطلقة: كثير الطلاق.

رجل طلبة: يطلب الأمور، وبرمة: يتبرم بالناس، وهذرة بذرة: كثير الكلام، وفشرة: مشؤوم، ونبذة: من النبذ.

وهي أمثلة يبلغ عددها مجتمعة زهاء سبعين رآها المجمع كافية في الحكم باطراد صوغ فعلة: للمبالغة من كل فعل ثلاثي.

فاروق شوشة

اتيين دينيه:

فنان اعتنق الإسلام بقلبه وريشته

بورتريه للفنان اتيين بريشته

عندما ولد اتيين دينيه الرسام الفرنسي الشهير عام ١٨٦١، كانت فرنسا إحدى أهم الدول المعبرة عن روح الغرب وحضارته الجديدة. وكانت الطبقة البورجوازية الأوربية الناهضة يومئذ، المتمثلة بدول وقوميات مختلفة، تتناحر للتوسع فيما وراء البحار بحثاً عن المواد الأولية الرخيصة، والأسواق الجديدة لإنتاجها الصناعي الذي يحقق لها القوة والثروة والنفوذ والرفاه الاقتصادي والاجتماعي. وكانت الوسائل العسكرية المدعومة بآخر مبتكرات العلوم وتطبيقاتها التكنولوجية وسيلتها الفعالة لتحقيق ذلك الهدف الحيوي. أما العالم الإسلامي، فكان بموقعه الجغرافي المميز، وثرواته الطبيعية الهائلة، وحجمه الديموغرافي الواعد، هدفاً مغرياً للاحتلال بعد أن خلخل الوهن كيانه، وشل التخلف المريع قدراته على الحركة والتفكير والمقاومة وتساقط معظم أقطار العالم الإسلامي في آسيا وإفريقيا تحت سيطرة الدول الاستعمارية، وانطلاق حملات

الإمام والمصلون .. من اعمال الفنان اتيين

مسعورة في أوربا والغرب ضد الإسلام والمسلمين، تدعمها وتغذيها الأوساط الدينية المتعصبة والدوائر السياسية الاستعمارية، التي صورت الإسلام ديناً همجياً معادياً للعلم وللتطور، ولا تدين به سوى الشعوب الهمجية، حتى أن بعضهم اقترح استخراج رفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونقلها إلى أحد متاحف أوربا لعرضها كأثر من الماضي وتاريخه، بينما اقترح البعض الآخر على المسلمين التحول إلى المسيحية إذا أرادوا إنقاذ أنفسهم من الهلاك، والتأقلم مع حضارة العصر الحديث ومفاهيمه. وقد واجه الشيخان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده هذه الحملات المهينة أثناء وجودهما في أوربا وردا عليها بالمحاضرات وعلى صفحات الجرائد، خصوصاً على ادعاءات الكاتب ومؤرخ الأديان الفرنسي أرنست رينان، والمؤرخ والدبلوماسي كبريال هانوتو الذي كان وزيراً لخارجية فرنسا (١٨٩٤ - ١٨٩٨)، وعلى غيرهما من الكتاب أدعياء البحث العلمي الرصين والمنزه.

الجزائر، البداية

لم يكن الأوربيون يعرفون عن تعاليم الإسلام وحياة النبي محمد إلا ما كان يكتبه المستشرقون وينشره رجالات الكنيسة، وهو في معظمه مشوه وحاقد. وعندما أتاحت المصادفة لـ (اتيين دينيه) زيارة الجزائر، عام ١٨٨٤ والتعرف مباشرة على سكانها المسلمين وعاداتهم، وتقاليدهم، وعباداتهم، بدت له تلك الدراسات المنتشرة في أوربا عن الإسلام ورسوله أباطيل ملفقة في معظمها، وبعيدة عن الحقائق العلمية. ذكر ذلك في كتابه (إشعاعات نور الإسلام) وقد أتاحت له هذه الزيارة وما تلاها من الزيارات للجزائر، أن يتعرف عن كثب إلى عوالم جديدة لم يألفها من قبل: عالم الأضواء الخلابة، والظلال الصامتة التي تعكسها الصحراء برمالها وواحاتها وسرابها، وعالم الألوان الجذابة التي تنبض بها الطبيعة في الجزائر، وما يحفل به عالم المسلمين الجزائريين من الأفراح والأحزان والعادات والتقاليد ومشاغل الحياة ومظاهر الإيمان الروحي العميق الذي يطبع حياتهم بالبساطة والمودة والتسامح وسمو الأخلاق، والذي يعبرون عنه بطقوس وعبادات بسيطة تصلهم مباشرة مع الله.

سجين المتعتين

خصّت الطبيعة (اتيين دينيه) بمتعتين: متعة الرسم، ومتعة الكتابة: عن متعة الرسم التي طورها في مدرسة الفنون الجميلة بباريس وفي أكاديمية جوليان، صدرت مئات اللوحات الرائعة بعمقها وألوانها وموضوعاتها، خصوصاً تلك التي تصور حياة المسلمين الدينية وتعبيراتها، وحركاتها وفضاءاتها، وهي لوحات رسمها بعد استقراره في واحة (بو سعادة) الجزائرية على أبواب الصحراء منذ عام ١٨٨٨، والتي يزين معظمها أشهر متاحف الرسم في العالم.أما متعة الكتابة، وهي بالنسبة إليه رسم بالكلمات بدلاً من الألوان، فقد صدرت عنها عدة مؤلفات: منها ما يتعلق بالرسم وفضاياه، ومنها ما يتعلق بالإسلام وتعاليمه، وقد كان للقائه بسليمان بن إبراهيم عام ١٨٨٨ أثر فيها. كانت أولى هذه المؤلفات مختارات من أشعار عنترة ترجمها إلى الفرنسية وأصدرها عام ١٨٩٨ مزينة برسمائة وعشرين لوحة تصور الفضاء البلدي والصحراوي الذي عاش فيه عنترة في الجزيرة العربية. وفي عام ١٩٠٢ أصدر كتاب (ربيع القلوب) الذي يتضمن مجموعة من ثلاث أساطير صحراوية اختارها صديقه سليمان بن إبراهيم ورسم هو فضاءها، ونشر بالعربية في مركز الأخوة الإسلامية في باريس كتابه (إشعاعات نور الإسلام) ونشره بالفرنسية تحت عنوان Rayons de lumiere islamique وهي من أهم الكتب التي أصدرها دفاعا عن الإسلام وقضاياه. وقد استقبل كتابه عن حياة الرسول بهجمات عنيفة من دوائر المستشرقين لأنه اعتمد السير العربية القديمة كابن هشام، وابن سعد، وعلي برهان الدين الحلبي، كمراجع أساسية له بدلاً من أبحاثهم ودراساتهم فكان رده عليهم أن ما كتبوه عن الإسلام والمسلمين منذ الحروب الصليبية حتى اليوم، خصوصاً عن حياة الرسول، فيه تحريفات كثيرة، رغم ادعاءاتهم أنها بحوث علمية مجردة، وانتقادات بريئة، وقد أراد (اتيين دينيه) من نشر كتابه فضح تلك التحريفات، والدفاع عن قضايا الإسلام الدينية والسياسية في الغرب، وتصحيح معلومات الغربيين عن الإسلام والمسلمين وعن الرسول وحياته وعندما تكنّى (دينيه) باسم (ناصر الدين) كان يتمثل ما تعنيه هذه الكنية نظرياً وعملياً.

ضريح بوسعادة

ومن المؤلفات الأخرى التي كرسها (دينيه) للدفاع عن الإسلام، كتابه (الشرق كما يراه الغرب)، الذي كتبه عام ١٩١٧ ونشره عام ١٩٢١ بالاشتراك مع صديقه سليمان بن إبراهيم وكان مسك الختام في مؤلفاته كتاب: (الحج إلى بيت الله الحرام) الذي أنجزه بعد أداء فريضة الحج عام ١٩٢٩. لكن مرضه ووفاته في ديسمبر من العام نفسه أخرا صدوره إلى العام التالي. وكانت وصيته التي كتبها بخط يده أن يدفن وفق طقوس الشريعة الإسلامية في واحة (بوسعادة) الجزائرية التي رسم فيها الكثير من لوحاته، والتي على أرضها تعرّف إلى الإسلام وتعاليمه.

محمد ضاهر

"العربي"- العدد٤٩٨- مايو٢٠٠٠

مؤذن يدعو إلى صلاة العشاء

قارئ القرآن

مفاهيم إسلامية:

الشُّورى الإسْلاميَّة

هذه نظرات معاصرة على المفاهيم الأساسية في الإسلام يعرضها الباحث الإسلامي محمد عمارة الذي عرف بتجديده واستنارته من وجهة نظره كعالم مجدد.

الشورى:

مصطلح إسلامي خالص وأصيل، وهو اسم - من "المشاورة" - التي تعني، في اصطلاح العربية: استخراج الرأي، فهي فعل إيجابي، لا يقف عند حدود "التطوع" بالرأي، بل يزيد على "التطوع" إلى درجة "العمل" على استخراج الرأي استخراجا واستدعائه قصدا!!

وإذا قلنا: أشار فلان على فلان بالرأي، فإن معناه - في اصطلاح العربية -: أمره به!، وليس مجرد إبراء الذمة بإلقاء الرأي فقط؟!..

والشورى، في الفكر السياسي الإسلامي، هي فلسفة نظام الحكم، والاجتماع، والأسرة، لأنها تعني إدارة أمر الاجتماع الإنساني، الخاص والعام، بواسطة الائتمار المشترك والجماعي الذي هو سبيل الإنسان للمشاركة في تدبير شئون هذا الاجتماع.. فالشورى، أي الائتمار المشترك، هي السبيل إلى الإمارة، أي القيادة والنظام والسلطة والسلطان، إمارة الإنسان في الأسرة وفي المجتمع وفي الدولة، أي في تنظيم المجتمع وحكمه، صغيرا كان المجتمع أو كبيرا.

الخليفة عن سيد الكون

ولما كان التصور الفلسفي الإسلامي لوجود الإنسان في هذه الحياة، ولوظيفته ومكانته فيها، ولعلاقته بالآخرين، قائما على حقيقة أن هذا الإنسان مخلوق لله سبحانه وتعالى، ومستخلف عنه في عمارة الكون، كانت مكانة الإنسان في العمران هي مكانة الخليفة عن الله، فهو ليس سيد الكون حتى تكون حريته مطلقة، دون حدود، وشوراه وائتماره وإمارته وسلطته دون ضوابط وأطر، وفي ذات الوقت، فإن خلافته عن الله سبحانه تعني وتقتضي أن تكون له سلطة وإرادة وحرية وشورى وإمارة تمكنه من النهوض بتكليف العمران لهذا الوجود، فهو، لهذا، ليس الكائن المجبر المسير المهمش بإطلاق.

إنه في المكانة الوسط، ليس سيد الكون، وليس العبد المجرد من الحرية والإرادة والاستقلال والمسئولية، وإنما هو الخليفة عن سيد الكون، وله في إطار عقد وعهد الاستخلاف السلطات التي تمكنه من النهوض بمهام هذا الاستخلاف.

وانطلاقا من هذه الفلسفة الإسلامية، في مكانة الإنسان في هذا الوجود، يتميز المذهب الإسلامي في "إطار الشورى"، فبنود عقد وعهد الاستخلاف الإلهي، التي هي قضاء الله الحتمي في كونه، وكذلك أحكامه التي جعلها إطارا حاكما لحرية الإنسان وسلطاته، هي "الوضع الإلهي"، الذي تظهر فيه عبودية المخلوق للخالق، وقضاء الله الذي لا شورى فيه ولا خيار ولا اختيار وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا.

هنا، وفيما يتعلق بهذا الإطار الحاكم، نحن أمام "سيادة الله، وحاكميته"، المتمثلة في قضائه الحتمي، وشريعته الممثلة لبنود عقد وعهد الاستخلاف، على الخليفة أن يجعلها الإطار الحاكم لحريته وشوراه، والسلطته وإمارته، ولحركته أثناء قيامه بالوكالة والاستخلاف.

موضع الشورى البشرية

أما ما عدا ذلك من الشؤون، التي هي مقدورة للقدرة الإنسانية، ولازمة لتنفيذ وتطبيق وتفصيل كليات عقد وعهد وأمانة الاستخلاف، فإنها موضع وموضوع للشورى البشرية، وموضع وموضوع لسلطان الإنسان وسلطاته، فهو حر، ومصدر للسلطة وللسلطان، اللذين يقيم دعائمهما بالشورى، في إطار الحلال والحرام. إنه الوكيل الحر، الذي يدير شئون الوكالة بالشورى، شريطة ألا يتعدى إطار عقد التوكيل!..

هذا عن إطار الشورى في فكر الإسلام السياسي وفلسفته في الاجتماع الإنساني..

إن قضاء الله وأمره: سيادة، وحاكمية إلهية، أما قضاء الناس وأمرهم فهو شورى بينهم، يقيمون بها إمارتهم وسلطتهم في مختلف دوائر الاجتماع، من الأسرة إلى المؤسسة إلى المجتمع. إلى الدولة، إلى الاجتماع الإنساني ونظامه الدولي!.

ففي مجتمع الأسرة، يعتمد الإسلام الشورى فلسفة للتراضي المؤسسة عليه المودة والنظام والانتظام. والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير .

إدارة شؤون الناس

وفي شئون الدولة يوجب الإسلام أن تكون الشورى هي الفلسفة التي تدار وفقا لها أمور الناس فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين .

فالعزم، أي اتخاذ القرار، هو ثمرة للشورى، أي اشتراك الناس في إنضاج الرأي الذي يتأسس عليه العزم - القرار - وهذا هو الذي جعل مفسري القرآن يقولون، في تفسيرهم لهذه الآية - بلسان واحد من أئمتهم - ابن عطية [٤٨١ - ٥٤٢هـ ١٠٨٨ - ١١٤٨م]، -: "إن الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام. ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، وهذا مما لا خلاف فيه.."

فهي من قواعد الشريعة، ومن عزائم الأحكام. أما أهلها، فهم كل من هو أهل لها، بحسب موضوعها، وما يتطلبه الموضوع من خبرات، ولذلك كانت كلمات ابن عطية تتحدث عن استشارة أهل "العلم" و "الدين"، وليس فقط، أهل "الدين"!..

وإذا كانت المشاورة هي استخراج الرأي، الذي يتأسس عليه العزم والقرار، فلقد جعل الإسلام "العصمة" للأمة، فقال الرسول، صلى الله عليه وسلم: إن أمتي لا تجتمع على ضلالة - رواه ابن ماجة - وذلك لتطمئن القلوب إلى حكمة وصواب القرار إذا كان مؤسسا على شورى الأمة في أمورها، ومن هنا كانت الشورى صفة من صفات المؤمنين!. فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون. والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون. والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون .

إحدى أخص صفات الرسول

بل إنها - الشورى - واحدة من أخص صفات رسول هذه الأمة، عليه الصلاة والسلام، وفيما يرويه أبوهريرة، عن صفات الرسول، يقول: ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله - رواه الترمذي -.

ولقد كان الصحابة، في دولة الإسلام الأولى، التي قادها النبي والرسول، صلى الله عليه وسلم، دائمي السؤال عن طبيعة القرار: "أهو الوحي؟" - فيكون من وضع الله وقضائه وأمره - "أم الرأي والمشورة؟" - فتكون فيه المراجعة والشورى، التي يتأسس عليها العزم والقرار؟. فكأنهم يسألون عن "طبيعة الاختصاص" في القرار، أهي "السيادة الإلهية"؟، أم "السلطة البشرية"؟. وعندما كان ينبئهم الرسول بأنه "الوحي"، كانوا يلتزمون التزام السمع والطاعة لله ولرسوله. أما إذا كان "الرأي والمشورة"، فإن الالتزام يكون بثمرات الشورى، ليس بالنسبة لهم فقط، بل وبالنسبة للرسول، صلى الله عليه وسلم، لأنه في هذه الأمور "مجتهد" لا "مبلغ".. وفي ضوء هذه الحقيقة الإسلامية نفهم معنى قوله، صلى الله عليه وسلم، لأبي بكر وعمر: لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما - رواه الإمام أحمد - وقوله لو كنت مُؤَمِّراً أحدا دون مشورة المؤمنين لأمّرتُ ابن أم عبد- [عبد الله بن مسعود]- ! رواه الترمذي وابن ماجة والإمام أحمد .

فجميع أمور الناس وسائر الدنيا، التي لم يقض فيها الله، سبحانه وتعالى، قضاء قطعي الدلالة والثبوت، هي شورى بين أهل الشورى.. وفي مقدمة هذه الأمور دولة الإسلام والمسلمين.. فالرسول المعصوم في البلاغ عن الله سبحانه وتعالى هو في شئون الدولة حاكم "مجتهد"، وهو لا يولي واليا "دون مشورة المؤمنين"!.. وعمر بن الخطاب هو القائل: من بايع أميرا من غير مشورة المسلمين فلا بيعة له، ولا بيعة للذي بايعه! فالخلافة "شورى" وولاية الأمر في الإسلام جماعية، ولذلك تحدث القرآن عن [أولي الأمر] - بصيغة الجمع - ولم تذكر آياته "ولاية الأمر" بصيغة المفرد أبدا!.

تلك هي الشورى الإسلامية

- فلسفة الاجتماع الإسلامي، في الأسرة، والمجتمع، والدولة.

- وإطارها وميدانها: كل ما لم يقض الله فيه قضاء حتم وإلزام للإنسان، مما ترك له كخليفة عن الله في عمران هذا الوجود.

- والأمة فيها وبها هي مصدر السلطة والسلطان في سياسة الدولة وتنظيم المجتمع وتنمية العمران.

- وهذه الأمة تختار ممثليها العارفين "بالواقع" و"بالشريعة" معا، وهم أهل الاختيار، الذين يختارون رأس الدولة الإسلامية، وكذلك أهل الحل والعقد - أي أهل الشوكة والرأي - الذين يحفظون اتساق "الواقع" مع "الشريعة" بتطوير "القانون - فقه الفروع" ليواكب الواقع الجديد، وبتطويع "الواقع" كي لا يخرج عن الحلال والحرام - اللذين هما حاكمية الله - .

طرائف عربية

الظلم وسوء العاقبة

لعنة قديمة

كان أحمد بن طولون أول من استقل بحكم مصر عن الدولة العباسية، شديد الغضب، سفاكا للدماء، سلطانه ملاذه، وجبروته هو السيف المعلق على رؤوس العباد، إذا قدر لم يعف حتى قيل انه مات في حبسه ثمانية عشر ألف إنسان، وكان في مدينة عين شمس تمثال من الرخام الأبيض الشاهق بطول رجل واقف معتدل القامة، محكم الصناعة، فإذا تأملته حسبته حيا يكاد ينطق، فقصد الأمير أحمد أن ينظر إليه، فنهاه بعض حكام مصر أن ينظر إليه، وقالوا له: "أيها الأمير لا تنظر إلى هذا الصنم، فما نظر إليه أحد من الولاة الذين حكموا مصر إلا عُزل في عامه".

فلم يعبأ بهذا الكلام فركب وتوجه إليه ورآه، ثم إنه أمر بقطعه فقطع، ولم يبق له أثر. فلما رجع حم من يومه (أي أصابته الحمى) ولزم الفراش، فبقي في المرض نحو عشرة أشهر، واستمر كذلك حتى مات.

صوت القرآن عذاب للظالمين

قال بعض الثقاة: كنت أرى شيخا من أهل العلم، يقرأ على قبر الأمير أحمد بن طولون في كل يوم، ثم رأيته بعد ذلك قد ترك القراءة على قبره، فسألته عن ذلك فقال لي: (كان للأمير أحمد علي من البر والإحسان ما لا أستطيع وصفه، فأحببت أن أواسيه بشيء من القرآن بعد موته، إلا أنني بعد أن قرأت رأيته يأتيني في المنام متضرعا: "يا فلان بالله توقف عن القراءة على قبري، فلا تمر بي آية من القرآن إلا قيل لي: أما سمعت هذه الآية في دار الدنيا، فهل كنت تعمل بها؟ وما رأيت أشد على ملوك الدنيا من الحجاب، في كتمهم لحوائج المظلومين عن الملوك".

هاتف المغيب

قال محمد بن حسين الصالحي: كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار، فنام بعد أن أكل، فانتبه منزعجا وقال: يا خدم. أعينوني والحقوا بالشط بأول ملاح ترونه منحدرا من سفينة فارغة فاقبضوا عليه وآتوني به، ووكلوا بالسفينة من يحفظها وعندما حضر الملاح سأله: أصدقني يا ملعون ما حكايتك مع المرأة التي قتلتها اليوم، وإلا ضربت عنقك؟.

قال الملاح وقد زلزله الاكتشاف: يا مولاي كنت أسير بمركب في النهر فنزلت إلي امرأة لم أر مثلها عليها ثياب وجواهر وحلي فاحتلت عليها وأغرقتها ونهبت ما عليها. صاح المعتضد في وجهه: وأين متاع المرأة. فأجابه: هو في المركب. فأمر الخليفة بإحضاره وأمر بإغراق الملاح، ثم أمر أن ينادى في بغداد من خرجت له امرأة وعليها ثياب فاخرة، وحلي فليحضر. فحضر أهلها في اليوم التالي وتسلموا متاعها.

فقلت: يا مولاي من أعلمك؟، أو أوحى إليك بهذه الحالة؟ وأمر هذه الصبية؟ فقال: بل رأيت في منامي رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادي يا أحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره عن المرأة التي قتلها ظلما، وسلبها ثيابها، وأقم عليه الحد ولا تظلم، فكان ما شاهدتم.

أجر المظالم

صلب الحجاج - وكان طاغية لم يشهد الزمان مثله - رجلا طيبا، فقال ذلك الطيب: يا رب إن حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين. فنام الرجل تلك الليلة فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وكأنه قد أطل على الجنة من بعيد، وإذا مناد ينادي: حلمك يا رب على الظالمين وضع المظلومين في أعلى عليين.

يوم الأذان

نادى رجل سليمان بن عبدالملك وهو على المنبر: يا سليمان اذكر يوم الأذان: فلما نزل سليمان دعا الرجل، فقال: ما يوم الأذان هذا ؟ فقال: قال الله تعالى: فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين.

بؤس الأيام ونعيمها

حبس الحجاج رجلا مظلوما في حبسه فكتب إليه رقعة فيها، قد مضى على بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام، والموعد القيامة، والسجن جهنم، والحاكم لا يحتاج إلى بينة، وكتب في آخرها:

يستقطع التلذذ عن أناس
أداموه وينقطع النعيم
إلى ديان يوم الدين
وعندالله تجتمع الخصوم

صورة وتعليق

من إبداع الخط العربي

فاتحة الكتاب على ورق من القرن الثامن الهجري